لحقوقهم وضنا بأنفسهم على الذل وصونا لملتهم من الضياع والى الله تصير الامور

(العروة الوثقى)

الايثار

جعلت الديانة الاسلامية الاعمال الفاضلة على قسمين قسم حكمه الوجوب الحتم وهو مالا حرج فيه ولا مشقة على الناس كلهم باتباعه كاداء الزكاة وانظار المعسر والمساواة والمماثلة في العقوبة . وقسم حكمه الندب والاستحباب وهو مالا يمكن أن يكون عليه الناس كلهم كالعفو عن الجاني وابراء المعسر والايثار على النفس مع الحاجة والخصاصة ، والاعمال الواجبة التي كلف بها جميع الناس جزما أفضل من الاعمال المستحبة التي طلبت طلبا غير جازم في الغالب . فابراء المعسر أفضل من انظاره كما لا يخفى ، ويتراءى لغير المحقق أن الايثار ولو بالضروري أفضل من الانفاق مما زاد على الحاجة الذي هو أصل الشريعة ؛ ودونك ما أوردناه في كتابنا (الحكمة الشرعية) من تحقيق هذا البحث وفاء بوعدنا في العدد الماضي وهو :

ان كتب السنة واخبار السلف وآثارهم تشهد لهم بفضيلة الايثار على أنفسهم وقد مدح الله عز وجل به الانصار بقوله عز من قائل (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) وأقوال العلماء المصرحة بأن المؤاثرة أفضل درجات البذل ماثلة بطون الدفاتر ومع هذا فقد حقق امام العارفين الشيخ الاكبر محي الدين أن مقام أكمل الكملة تقديم أنفسهم وعدم المؤاثرة فقد ذكر في رسالته (روح القدس) كلاما في مناظرة نفسه اقنعها فيه بأن ليس لها قدم مع الانبياء ولا مع الصحابة وأراد أن يقنعها بذكر أحوال بعض التابعين بأنها

لم تبلغ لهم شأوا ايضا فقص عليها أحسن القصص من أحوال أويس القرني (رض) وسيرته في الانفاق. قال قدس سره(١)

« فقالت النفس ياسيدي ارفق بي ولا تعجل فقد ظهر لي في مسألة أويس هذا أمر خرج الحلاج فيه فوقه وذلك أن الحلاج (رض) قال مخبرا عن حالته اذا قعد الرجل عشرين يوما دون غذاء ثم جاءه طعام فعرف أن في البلد من هو أحوج منه لذلك الطعام فأكله ولم يؤثر ذلك المحتاج به فقد سقط. وهذا مقام عال كما رأيته . وهذا أويس (رض) ما كان يتصدق الا بفضل طعامه وثيابه فيأخذ حاجته أولا ثم يعطي ما يفضل عن قوته كل ليلة وهو يعلم أن ثم جائعا ولم يعطه وهذا كما رأيته » قال

« قلت لها يانفس ما انت الا اعترضت اعتراض من لا يعرف الحقائق ولكنك جهلت المقال فاسمعي الجواب واعلمي أن أويسا هو الامام الذي لا يلحق . واعلمي ايتها النفس أن العارف اذا كان صاحب حال مثل الحلاج فرق بين نفسه وبين غيره فعامل نفسه بالشدة والقهر والعذاب وعامل نفس غيره بالايثار والرحمة والشفقة، واذا كان العارف صاحب مقام وتمكين وقوة صارت نفسه عنده أجنبية لا فرق عنده بينها وبين نفوس العالم فما يلزمه في حق نفوس الغير من الرحمة والشفقة يلزمه في حق نفسه لكونها صارت عنده اجنبية وارتفع هو علويا وبقيت هي مع ابناء جنسها سفلية فلزمه العطف

(١) المنار : كنا الى عهد نشر هذه المناظرة في المنار نأخذ جل كلام الشيخ محي الدين بالتسليم وما ننكره منه وهو أقله نتأوله او نأخذ فيه بقول من قالوا ان المراد منه غير ظاهره وقد من الله تعالى علينا من قبل إعادة طبع هذا منه ان صار عندنا كغيره من العلماء والصوفية نحكم في جميع اقوالهم الدليل ولله الحمد

عليها كما لزمه على غيرها فان صاحب الصدقة العارف اذا خرج بصدقته واقى أول مسكين يدفع اليه الصدقة فان تركه ومضى لى مسكين آخر فقد انتقل من رضى ربه الى هوى نفسه وخرج من ديوانهم فانها مثل الرسالة لايخص بها شخصاً أول من يلقاه يقول له قل «لا اله الا الله» ولاشك أن هذا العارف اذا وهبه الله تعالى زمنا يعلم أنه مرسل إلى عالم النفوس الحيوانية فينزل من حضرة عقله الى أرض النفوس ليؤدي اليهم ذلك القدر الذى وجه به فأول نفس تلقاه نفسه لانفس غيره وسبب ذلك أن نفوس الغير غير ملازمة له ولا متعلقة به لانها لاتعرفه ونفسه متعلقة به ملازمة لبابه فلا يفتحه الا عليها فتطالب اماتها منه فيقدمها على غيرها لانها أول سائل، والى هذا السر اشار الشارع بقوله «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول والاقربون أولى بالمعروف» لتعلقهم بك ولزومهم بابك والغير لا يتعلق بك لا يلازمك ملازمة نفسك أعلاك فلما تأخروا أخروا كما هي حال الاسرار سواء : تخرج من عند الحق على باب الرحمة فأي قلب وجد متعرضا سائلا عند الباب دفع اليه حظه من الاسرار والحكم حظه منها على قدر مايرى فيه من التعطش والجوع والذلة (أى لله) والافتقار، وهم خاصة الله تعالى. وإلى هذا المقام أشار المشائخ عليه حرضت الشريعة بقولها «تعرضوا النفحات ربكم» ومن تأخر أخر ومن نسى نسي فانظري كم بين المنزلتين منزلة الحلاج ومنزلة أويس؟ وانظري هذا المقام على علوه وسموه كيف اشترك في الظاهر صاحبه مع أحوال العامة فان العامة أول ما تجود على نفوسها وهي التي يتعدى جودها الى غيرها وانما يتصرفون تحت حكم هذه الحقيقة وهم لا يشعرون ولما عموا عن هذا السر وصاروا مثل البهائم لا يعرفون مواقع أسرار العالم مع الله تعالى حرصوا على الايثار ومدحوا به وهو مقام الحلاج الذى ذكرت عنه ورأيت انه غاية (هكذا - فلتنزل الحقائق، وتحاك حال الرقائق. فقدات النفس هذا شيء والله ماقرع قط سمعي، وان هذا لهو حق اليقين، ولمثل هذا فليعمل العاملون، وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون، لقد شرحت صدرا ورفعت في المعارف قدرا» اه

هذا ماجاء في (روح القدس) بنصه الشائق، الذى هو صفوة الحقائق، هو جدير بما وصفناه، لكن ربما توهم منه الغبي انه يقتضي تفضيل أويس على الصحابة

في هذا المقام الذي أثنى به عليهم الملك العلام وأبى لا ويس على فضله بذلك ؟ والذي يتجلى لنا في الجواب ما نقصه عليك مفصلا تفصيلا لها بقية

﴿ باب التربية والتعليم ﴾

(التربية) هي مساعدة القوى التي من شأنها أن تربو وتنمو على بلوغ الكمال في نموها المستعدة هي له في أصل الفطرة والخلقة وذلك بازالة الاسباب التي تعيق النمو أو تنحرف بالقوى عن جادة الاعتدال المطلوب وبامداد هذه القوى بما تتغذى به من المواد « في القوى المادية » والمعلومات « في القوى المدركة العاقلة » الخارجة عنها . وأحوج العوالم الحية الى التربية الانسان لان سائر الحيوان والنبات يصل غالبا الى كماله في الجملة من غير تربية الا الطبيعة وما يهبه الباري تعالى للحيوان الاعجم من الالهام

أما الانسان فهو — كما مر في مقالة العبرة الوثقى — عالم صناعي في جميع أطواره الجسدية والروحية فمتى أطلق علم التربية ينصرف لتربيته وان كان الكثير أو الاكثر من النبات والحيوان يصل بتربية الانسان له الى درجة من الكمال لا يرتقي اليها بنفسه اذا ترك لطبيعته ولعلمي تربية النبات والحيوان أسماء أخرى عند الذين قاموا العلوم

اختلف علماء التربية في ابتداء تربية الانسان أتكون من يوم العلم بالحمل به أو من يوم يولد ؟ وأرى ان هذا الخلاف لفظي اذ لا خلاف بينهم في ان أحوال الام الجسدية والنفسية يكون لها أثر في نمو الجنين واستعداده ولذلك يأمرونها بالرياضة المعتدلة وتناول الاغذية اللطيفة وعدم التعرض لما يهيج بالانفعال ولا سيما الخوف والفزع والحزن . وكأين من وليد خرج ذا عاهة لم يكن لها من سبب الا ما ألم بوالدته وهي حامل به . ومن جراء هذا استبدي مباحثاني تربية الانسان بالكلام على الحوامل وما ينبغي لهن بعبارة واضحة تفهمها السيدات وان كن غير متعلمات

(التعليم) له اطلاقان أولها مداد القوى المدركة بعرض الاشياء عليها تدريجا بالقول والفعل بحيث تدركها وتقدر على التصرف فيها قولا وعملا « كل شيء بحسبه »